فصل
في أحاديث الصفات

● **الحديث الأول في إثبات نزول الله إلى السماء الدنيا:**

وهو قوله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنا إلى سَماءِ الدُّنْيا كُلَّ لَيْلَةٍ، حينَ يَبْقى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقولُ: مَنْ يَدْعوني فَأَسْتَجيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُني فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُني فَأَغْفِرَ لَهُ». متفق عليه[1].

الشرح:

* هٰذا الحديث قال بعض أهل العلم: إنه من الأحاديث المتواترة، واتفقوا على أنه من الأحاديث المشهورة المستفيضة عند أهل العلم بالسنة.

* قوله: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا**»: نزوله تعالى حقيقي؛ لأنه كما مرَّ علينا من قبل: أن كل شيء كان الضَّمير يعود فيه إلى الله؛ فهو ينسب إليه حقيقة.

---

(١) تقدم تخريجه (١/ ٩٤).

فعلينا أن نؤمن به ونصدق ونقول: ينزل ربُّنا إلى السماء الدنيا، وهي أقرب السماوات إلى الأرض، والسماوات سبع، وإنما ينزل عز وجل في هٰذا الوقت من الليل للقرب من عباده جل وعلا؛ كما يقرب منهم عشية عرفة؛ حيث يباهي بالواقفين الملائكة(١).

* وقوله: «**كل ليلة**»: يشمل جميع ليالي العام.

* «**حين يبقى ثلث الليل الآخر**» والليل يبتدىء من غروب الشمس اتفاقاً لكن حصل الخلاف في انتهائه هل يكون بطلوع الفجر أو بطلوع الشمس والظاهر أن الليل الشرعي ينتهي بطلوع الفجر والليل الفلكي ينتهي بطلوع الشمس.

* وقوله: «**فيقول: من يدعوني**»: «من»: استفهام للتشويق؛ كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠﴾ [الصف: ١٠].

* و «**يدعوني**»؛ أي: يقول: يا رب!

* وقوله: «**فأستجيب له**»: بالنصب؛ لأنها جواب الطلب.

* «**من يسألني**»: يقول: أسألك الجنة، أو نحو ذٰلك.

* «**من يستغفرني**»: فيقول: اللهم اغفر لي، أو: أستغفرك اللهم!

* «**فأغفر له**»: والمغفرة ستر الذنب والتجاوز عنه.

بهٰذا يتبيَّن لكل إنسان قرأ هٰذا الحديث أن المراد بالنزول هنا نزول الله نفسه، ولا نحتاج أن نقول: بذاته؛ ما دام الفعل أُضيف

---

(١) كما جاء ذلك في «صحيح مسلم» (١٣٤٨)، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟».

إليه؛ فهو له، لٰكن بعض العلماء قالوا: ينزل بذاته؛ لأنهم لجؤوا إلى ذٰلك، واضطروا إليه؛ لأن هناك من حرَّفوا الحديث وقالوا: الذي ينزل أمر الله! وقال آخرون: بل الذي ينزل رحمة الله! وقال آخرون: بل الذي ينزل مَلَكٌ من ملائكة الله!

وهٰذا باطل؛ فإن نزول أمر الله دائماً وأبداً، ولا يختص نزوله في الثلث الأخير من الليل؛ قال الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، وقال: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣].

وأما قولهم: تنزل رحمة الله إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر! فسبحان الله! الرحمة لا تنزل إلا في هٰذا الوقت! قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]؛ كل النعم من الله، وهي من آثار رحمته، وهي تترى كل وقت!!

ثم نقول: أي فائدة لنا بنزول الرحمة إلى السماء الدنيا؟!

ثم نقول لمن قال: إنه ملَك من ملائكته: هل من المعقول أنَّ الملَك من ملائكة الله يقول: مَن يدعوني فأستجيب له... إلخ؟!

فتبيَّن بهٰذا أن هٰذه الأقوال تحريف باطل يبطله الحديث.

ووالله؛ ليسوا أعلم بالله من رسول الله، وليسوا أنصح لعباد الله من رسول الله، وليسوا أفصح في قولهم من رسول الله ﷺ!!

يقولون: كيف تقولون: إن الله ينزل؟! إذا نزل؛ أين العلو؟! وإذا نزل؛ أين الاستواء على العرش؟! إذا نزل؛ فالنزول حركة

وانتقال!! إذا نزل؛ فالنزول حادث، والحوادث لا تقوم إلا بحادث!!

فنقول: هٰذا جدال بالباطل، وليس بمانع من القول بحقيقة النزول!!

هل أنتم أعلم بما يستحقُّه الله عز وجل من أصحاب الرسول ﷺ؟!

فأصحاب الرسول ﷺ ما قالوا هٰذه الاحتمالات أبداً؛ قالوا: سمعنا وآمنَّا وقبلنا وصدَّقنا.

وأنتم أيها الخالفون المخالفون تأتون الآن وتجادلون بالباطل وتقولون: كيف؟! وكيف؟!

نحن نقول: ينزل، ولا نتكلَّم عن استوائه على العرش؛ هل يخلو منه العرش أو لا يخلو؟!

أما العلو؛ فنقول: ينزل، لٰكنه عال عز وجل على خلقه؛ لأنه ليس معنى النزول أن السماء تُقِلُّه، وأن السماوات الأخرى تظلُّه؛ إذ إنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته.

فنقول: هو ينزل حقيقة مع علوه حقيقة، وليس كمثله شيء.

أما الاستواء على العرش فهو فعل، ليس من صفات الذات، وليس لنا حق ـ فيما أرى ـ أن نتكلم هل يخلو منه العرش أو لا يخلو، بل نسكت كما سكت عن ذٰلك الصحابة رضي الله عنهم.

وإذا كان علماء أهل السنة لهم في هٰذا ثلاثة أقوال: قول بأنه

يخلو، وقول بأنه لا يخلو، وقول بالتوقُّف.

وشيخ الإسلام رحمه الله في «الرسالة العرشية» يقول: إنه لا يخلو منه العرش؛ لأن أدلة استوائه على العرش محكمَة، والحديث هٰذا محكم، والله عز وجل لا تُقاس صفاته بصفات الخلق؛ فيجب علينا أن نبقي نصوص الاستواء على إحكامها، ونصَّ النزول على إحكامه، ونقول: هو مستوٍ على عرشه، نازل إلى السماء الدنيا، والله أعلم بكيفية ذٰلك، وعقولنا أقصر وأدنى وأحقر من أن تحيط بالله عز وجل.

القول الثاني: التوقُّف؛ يقولون: لا نقول: يخلو، ولا: لا يخلو.

والثالث: أنه يخلو منه العرش.

وأورد المتأخرون الذين عرفوا أن الأرض كروية وأن الشمس تدور على الأرض إشكالاً؛ قالوا: كيف ينزل في ثلث الليل الآخر؟! وثلث الليل الآخر إذا انتقل عن المملكة العربية السعودية؛ ذهب إلى أوروبا وما قاربها؟! أفيكون نازلاً دائماً؟!

فنقول: آمن أولاً بأن الله ينزل في هٰذا الوقت المعيَّن، وإذا آمنت؛ ليس عليك شيء وراء ذٰلك، لا تقل: كيف؟! وكيف؟! بل قل: إذا كان ثلث الليل الآخر في السعودية؛ فالله نازل، وإذا كان في أمريكا ثلث الليل؛ يكون نزول الله أيضاً، وإذا طلع الفجر؛ انتهى وقت النزول في كل مكان بحسبه.

إذاً؛ موقفنا أن نقول: إنا نؤمن بما وصل إلينا عن طريق محمد رسول الله؛ بأن الله ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الآخر من الليل، ويقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟!

*** من فوائد هٰذا الحديث:**

أولاً: إثبات العلو لله من قوله: «ينزل».

ثانياً: إثبات الأفعال الاختيارية التي هي الصفات الفعلية من قوله: «ينزل ربنا حين يبقى ثلث الليل الآخر».

ثالثاً: إثبات القول لله من قوله: «يقول».

رابعاً: إثبات الكَرَم لله عز وجل من قوله: «مَن يدعوني... مَن يسألني... مَن يستغفرني...».

*** وفيه من الناحية المسلكية:**

أنه ينبغي للإنسان أن يغتنم هٰذا الجزء من الليل، فيسأل الله عز وجل ويدعوه ويستغفره.

ما دام الرب سبحانه يقول: «من يدعوني... من يستغفرني...»، و (مَن): للتشويق؛ فينبغي لنا أن نستغل هٰذه الفرصة؛ لأنه ليس لك من العمر إلا ما أمضيته في طاعة الله، وستمر بك الأيام؛ فإذا نزل بك الموت؛ فكأنك وُلِدت تلك الساعة، وكل ما مضى ليس بشيء.

* * *

● **الحديث الثاني في إثبات الفرح، وهو قوله ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِراحِلَتِهِ. . .» الحديث، متفق عليه**[1].

* «**لله**»: اللام هٰذه لام الابتداء. «الله»: مبتدأ.

* «**أشد**»: خبر المبتدأ.

* «**فرحاً**»: تمييز.

* قال المؤلف: «**الحديث**»؛ أي: أكمل الحديث.

والحديث أن هٰذا الرجل كان معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فضلَّت عنه، فذهب يطلبها، فلم يجدها، فأيس من الحياة، ثم اضطجع تحت شجرة ينتظر الموت؛ فإذا بخطام ناقته متعلقاً بالشجرة. . . ولا أحد يستطيع أن يقدر هٰذا الفرح؛ إلا من وقع فيه. . . فأمسك بخطام الناقة، وقال: اللهمَّ! أنت عبدي، وأنا ربك؛ أخطأ من شدة الفرح؛ لم يملك كيف يتصرَّف في الكلام!!

فالله عز وجل أفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه من هٰذا الرجل براحلته، وليس الله عز وجل بمحتاج إلى توبتنا، بل نحن مفتقرون إليه في كل أحوالنا، لكن لكرمه جل وعلا ومحبته للإحسان والفضل والجود يفرح هٰذا الفرح الذي لا نظير له بتوبة الإنسان إذا تاب إليه.

* **في هٰذا الحديث**: إثبات الفرح لله عز وجل؛ فنقول في

---

(١) رواه البخاري (١١/١٠٢)، ومسلم (ص ٢١٠٢)، عن عدة من الصحابة بألفاظ مختلفة.

هٰذا الفرح: إنه فرح حقيقي، وأشد فرح، ولٰكنه ليس كفرح المخلوقين.

الفرح بالنسبة للإنسان هو نشوة وخفة يجدها الإنسان من نفسه عند حصول ما يسرُّه، ولهٰذا تشعر بأنك إذا فرحت بالشيء كأنك تمشي على الهواء، لٰكن بالنسبة لله عز وجل لا نفسِّر الفرح بمثل ما نعرفه من أنفسنا؛ نقول: هو فرح يليق به عز وجل؛ مثل بقية الصفات؛ كما أننا نقول: لله ذات، ولٰكن لا تماثل ذواتنا؛ فله صفات لا تماثل صفاتنا؛ لأن الكلام عن الصفات فرع عن الكلام في الذات.

فنؤمن بأن الله تعالى له فرح كما أثبت ذٰلك أعلم الخلق به، محمد ﷺ، وأنصح الخلق للخلق، وأفصح الخلق فيما ينطق به عليه الصلاة والسلام.

ونحن على خطر إذا قلنا: المراد بالفرح الثَّواب؛ لأن أهل التحريف يقولون: إن الله لا يفرح، والمراد بفرحه: إثابته التائب، أو: إرادة الثواب؛ لأنهم هم يثبتون أن لله تعالى مخلوقاً بائناً منه هو الثواب، ويثبتون الإرادة؛ فيقولون في الفرح: إنه الثواب المخلوق، أو: إرادة الثواب.

ونحن نقول: المراد بالفرح: الفرح حقيقة؛ مثلما أن المراد بالله عزَّ وجلَّ: نفسه حقيقة، ولٰكننا لا نمثل صفاتنا بصفات الله أبداً.

* **ويستفاد من هٰذا الحديث** مع إثبات الفرح لله عز وجل:

كمال رحمته جلَّ وعلا ورأفته بعباده؛ حيث يحب رجوع العاصي إليه هٰذه المحبة العظيمة. . . هارب من الله، ثم وقف ورجع إلى الله. . . يفرح الله به هٰذا الفرح العظيم.

* **ومن الناحية المسلكية**: يفيدنا أن نحرص على التوبة غاية الحرص، كلما فعلنا ذنباً؛ تبنا إلى الله.

قال الله تعالى في وصف المتقين: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾؛ أي فاحشة؛ مثل: الزنى، واللواط، ونكاح ذوات المحارم. . . قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقال لوط لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [الأعراف: ٨٠].

إذاً؛ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ ذكروا الله تعالى في نفوسهم؛ ذكروا عظمته، وذكروا عقابه، وذكروا ثوابه للتائبين؛ ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾؛ فعلوا ما فعلوا؛ لٰكنهم ذكروا الله تعالى في نفوسهم، واستغفروا لذنوبهم، فيغفر الله لهم، والدليل: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

فأنت إذا علمت أن الله يفرح بتوبتك هٰذا الفرح الذي لا نظير له؛ لا شك أنك سوف تحرص غاية الحرص على التوبة.

* **وللتوبة شروط خمسة:**

الأول: الإخلاص لله عز وجل؛ بأن لا يحملك على التوبة مراءاة الناس، أو نيل الجاه عندهم، أو ما أشبه ذٰلك من مقاصد الدنيا.

الثاني: الندم على المعصية.

الثالث: الإقلاع عنها، ومن الإقلاع إذا كانت التوبة في حقٍّ من حقوق الآدميين: أن ترد الحق إلى صاحبه.

الرابع: العزم على أن لا تعود في المستقبل.

الخامس: أن تكون التوبة في وقت القبول، وينقطع قَبول التوبة بالنسبة لعموم الناس بطلوع الشمس من مغربها، وبالنسبة لكل واحد بحضور أجله.

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ [النساء: ١٨].

وصحَّ عن النبي ﷺ أن زمن التوبة ينقطع إذا طلعت الشمس من مغربها، والناس يؤمنون حينئذ، ولٰكن؛ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨][1].

---

(١) لما رواه البخاري (٤٦٣٦)، ومسلم (١٥٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها، ثم قرأ الآية».

هٰذه خمسة شروط؛ إذا تمت؛ صحت التوبة.

* ولٰكن؛ هل يشترط لصحة التوبة أن يتوب من جميع الذُّنوب؟!

فيه خلاف، ولٰكن الصحيح أنه ليس بشرط، وأنها تصح التوبة من ذنب مع الإصرار على غيره(١)، لٰكن هٰذا التائب لا يصدق عليه وصف التائبين المطلق؛ فيقال: تاب توبة مقيدة، لا مطلقة.

فلو كان أحد يشرب الخمر ويأكل الربا، فتاب من شرب الخمر؛ صحت توبته من الخمر، وبقي إثمه في أكل الربا، ولا ينال منزلة التائبين على الإطلاق؛ لأنه مصرٌّ على بعض المعاصي.

* رجل تمَّت الشروط في حقِّه، وعاد إلى الذنب مرة أخرى؛ فلا تنتقض توبته الأولى؛ لأنه عزم على أن لا يعود، ولٰكن سوَّلت له نفسه، فعاد؛ إنما يجب عليه أن يتوب مرة ثانية... وهٰكذا؛ كلما أذنب؛ يتوب... وفضل الله واسع.

* * *

● **الحديث الثالث في إثبات الضحك، وهو قوله ﷺ: «يَضْحَكُ اللهُ إلى رَجُلَيْنِ؛ يَقْتُلُ أَحَدُهُما الآخَرَ؛ كِلاهُما يَدْخُلُ الجَنَّةَ»**(٢).

وفي بعض النسخ: «يدخلان»، وهي صحيحة؛ لأن (كلا)

---

(١) وهما روايتان للإمام أحمد، انظر كتاب «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٢٧٣).

(٢) رواه: البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠)؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يجوز في خبرها ـ سواء كان فعلاً أو اسماً ـ مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى، وقد اجتمعا في قول الشاعر يصف فرسين:

كِلاهُما حِينَ جَدَّ الجَرْيُ بَيْنَهُما قَدْ أقْلَعا وَكِلا أنْفَيْهِما رَابِي

* الحديث يخبر فيه النبي عليه الصلاة والسلام أن الله يضحك إلى رجلين؛ عند ملاقاتهما يقتل أحدهما الآخر؛ كلاهما يدخلان الجنة، وأحدهما لم يقتل الآخر إلا لشدة العداوة بينهما، ثم يدخلان الجنة بعد ذلك، فتزول تلك العداوة؛ لأن أحدهما كان مسلماً، والآخر كان كافراً، فقتله الكافر، فيكون هذا المسلم شهيدا، فيدخل الجنة، ثم منَّ الله على هٰذا الكافر، فأسلم، ثم قُتِلَ شهيداً، أو مات بدون قتل؛ فإنه يدخل الجنة، فيكون هٰذا القاتل والمقتول كلاهما يدخل الجنة، فيضحك الله إليهما.

* ففي هٰذا إثبات الضحك لله عز وجل، وهو ضحك حقيقي، لٰكنه لا يماثل ضحك المخلوقين؛ ضحك يليق بجلاله وعظمته، ولا يمكن أن نمثِّله؛ لأننا لا يجوز أن نقول: إن لله فماً أو أسناناً أو ما أشبه ذٰلك، لٰكن نثبت الضحك لله على وجه يليق به سبحانه وتعالى.

* فإذا قال قائل: يلزم من إثبات الضحك أن يكون الله مماثلاً للمخلوق!!

فالجواب: لا يلزم أن يكون مماثلاً للمخلوق؛ لأن الذي قال: «يضحك»: هو الذي أُنزِل عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ومن جهة أخرى؛ فالنبي عليه الصلاة والسلام لا يتكلم في مثل هٰذا إلا عن وحي؛ لأنه من أمور الغيب، ليس من الأمور الاجتهادية التي قد يجتهد فيها الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم يقرُّه الله على ذٰلك أو لا يقرُّه، ولٰكنه من الأمور الغيبية التي يتلقَّاها الرسول عليه الصلاة والسلام عن طريق الوحي.

* لو قال قائل: المراد بالضحك الرضى؛ لأن الإنسان إذا رضي عن الشيء؛ سُرَّ به وضحك، والمراد بالرضى الثواب أو إرادة الثواب؛ كما قال ذٰلك أهل التعطيل.

فالجواب أن نقول: هٰذا تحريف للكَلِم عن مواضعه؛ فما الذي أدراكم أن المراد بالرضى الثواب؟!

فأنتم الآن قلتم على الله ما لا تعلمون من وجهين:

الوجه الأول: صرفتم النص عن ظاهره بلا علم.

الثاني: أثبتُّم له معنى خلاف الظاهر بلا علم.

ثم نقول لهم: الإرادة؛ إذا قلتم: إنها ثابتة لله عز وجل؛ فإنه تنتقض قاعدتكم؛ لأن للإنسان إرادة؛ كما قال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]؛ فللإنسان إرادة، بل للجدار إرادة؛ كما قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧]؛ فأنتم إما أن تنفوا الإرادة عن الله عز وجل كما نفيتم ما نفيتم من الصفات، وإما إن تثبتوا لله عز وجل ما أثبته لنفسه، وإن كان للمخلوق نظيره في

الاسم لا في الحقيقة.

* **والفائدة المسلكية من هٰذا الحديث**: هو أننا إذا علمنا أن الله عز وجل يضحك؛ فإننا نرجو منه كل خير.

ولهٰذا قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله! أوَيضحك ربنا؟ قال: «نعم». قال: لن نعدم من رب يضحك خيراً[1].

إذا علمنا ذٰلك؛ انفتح لنا الأمل في كل خير؛ لأن هناك فرقاً بين إنسان عبوس لا يكاد يُرى ضاحكاً، وبين إنسان يضحك.

وقد كان النبي ﷺ دائم البِشر كثير التبسُّم عليه الصلاة والسلام.

* * *

● **الحديث الرابع: في إثبات العجب وصفات أخرى.**

وهو قوله: «عَجِبَ رَبُّنا مِنْ قُنوطِ عِبادِهِ وقُرْبِ غِيَرِهِ؛ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلينَ قَنِطينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ؛ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ». حديث حسن[2].

---

(١) لما رواه وكيع بن عدس عن عمه أبي رزين قال: قال رسول الله ﷺ: «ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره، قال: قلت يا رسول الله! أويضحك الرب عز وجل قال: نعم، قال: لن نعدم من رب يضحك خيراً»، رواه أحمد (٤/ ١١، ١٢)، وابن ماجه (١٨١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٨٧)، والآجري في «الشريعة» (٢٧٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٤٤)، والحديث حسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨١٠) مخطوط، كما نقله عنه الأخ علي الحلبي في تحقيقه لـ «العقيدة الواسطية» (ص٤١)، وانظر ما بعده.

(٢) من حديث أبي رزين عند ابن كثير في تفسيره، لقوله تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا=

* العجب: هو استغراب الشيء، ويكون ذٰلك لسببين:

السبب الأول: خَفاء الأسباب على هٰذا المستغرب للشيء المتعجَّب منه؛ بحيث يأتيه بغتة بدون توقع، وهٰذا مستحيل على الله تعالى؛ لأن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

والثاني: أن يكون السبب فيه خروج هٰذا الشيء عن نظائره وعمّا ينبغي أن يكون عليه؛ بدون قصور من المتعجب؛ بحيث يعمل عملاً مستغرباً لا ينبغي أن يقع من مثله.

وهٰذا ثابت لله تعالى؛ لأنه ليس عن نقص من المتعجِّب، ولٰكنه عجب بالنظر إلى حال المتعجَّب منه.

* قوله: «**عَجِبَ ربُّنا من قنوط عباده**»: القنوط: أشد اليأس. يعجب الرب عز وجل من دخول اليأس الشديد على قلوب العباد.

«**وقُربِ غِيَرِه**»: الواو بمعنى (مع)؛ يعني: مع قرب غيره.

و(الغير): اسم جمع غِيَرَة؛ كطِيَر: اسم جمع طِيَرَة، وهي اسم بمعنى التغيير، وعلى هٰذا؛ فيكون المعنى: وقرب تغييره.

فيعجب الرب عز وجل؛ كيف نقنط وهو سبحانه وتعالى

= الجنة...﴾ [البقرة: ٢١٤]، ولفظه: «عجب ربك...» الحديث. وبدل «غيره» «غيثه».

قريب التغيير، يغير الحال إلى حال أُخرى بكلمة واحدة، وهي: كُنْ. فيكون.

* وقوله: «**ينظر إليكم أَزِلين**»؛ أي: ينظر الله إلينا بعينه.

* «**أَزِلين قَنِطين**»: الأزِل: الواقع في الشدة. و«قنطينَ»: جمع قانط، والقانط: اليائس من الفرج وزوال الشدة.

فذكر النبي ﷺ حال الإنسان وحال قلبه؛ حاله أنه واقع في شدة، وقلبه قانط يائس مستبعد للفَرَجِ.

* «**فيظل يضحك**»: يظل يضحك من هٰذه الحال العجيبة الغريبة؛ كيف تقنط من رحمة أرحم الراحمين الذي يقول للشيء: كنْ. فيكون؟!

* «**يعلم أن فرجكم قريب**»؛ أي: زوال شدتكم قريب.

* **في هٰذا الحديث عدة صفات:**

ـ أولاً: العجب؛ لقوله: «عجب ربنا من قنوط عباده».

وقد دلَّ على هٰذه الصفة القرآن الكريم؛ قال الله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [الصافات: ١٢]؛ على قراءة ضم التاء.

ـ وفيه أيضاً بيان قدرة الله عز وجل؛ لقوله: «وقرب غِيَرِه»، وأنه عز وجل تام القدرة، إذا أراد؛ غيَّر الحال من حال إلى ضدها في وقت قريب.

ـ وفيه أيضاً إثبات النظر؛ لقوله: «ينظر إليكم».

ـ وفيه إثبات الضحك؛ لقوله: «فيظل يضحك».

ـ وكذٰلك العلم؛ «يعلم أن فرجكم قريب».

ـ والرحمة؛ لأن الفرج من الله دليل على رحمة الله بعباده.

وكل هٰذه الصفات التي دلَّ عليها الحديث يجب علينا أن نثبتها لله عز وجل حقّاً على حقيقتها، ولا نتأول فيها.

* **والفائدة المسلكية في هٰذا:** أن الإنسان إذا علم ذٰلك من الله سبحانه وتعالى؛ حذر من هٰذا الأمر، وهو القنوط من رحمة الله، ولهٰذا؛ كان القنوط من رحمة الله من الكبائر:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

فالقنوط من رحمة الله، واستبعاد الرحمة: من كبائر الذنوب، والواجب على الإنسان أن يحسن الظن بربه؛ إن دعاه؛ أحسن الظن به بأنه سيجيبه، وإن تعبَّد له بمقتضى شرعه؛ فليحسن الظن بأن الله سوف يقبل منه، وإن وقعت به شدة؛ فليحسن الظن بأن الله سوف يزيلها؛ لقول النبي ﷺ: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»(١).

---

(١) قطعة من الحديث الذي رواه الإمام أحمد (١/٣٠٧)، والترمذي (٢٥١٨)، وقال حديث حسن صحيح، وأبو يعلى (٢٥٥٦) عن ابن عباس. قال الحافظ ابن رجب =

بل قد قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ ـ ٦]، ولن يغلب عسر يسرين؛ كما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما.

* * *

● **الحديث الخامس: في إثبات الرجل أو القدم:**

وهو قوله ﷺ: «لا تزال جهَنَّمُ يُلْقى فيها، وهيَ تَقولُ: هَلْ مِنْ مَزيدٍ؛ حتّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فيها رِجْلَهُ (وفي رواية: عليها قَدَمَهُ)، فيَنْزَوي بَعْضُها إلى بَعْضٍ، فَتَقولُ: قَطْ قَطْ». متفق عليه[1].

* قوله: «**لا تزال جهنمُ يُلْقى فيها**»: هٰذا يوم القيامة؛ يعني: يُلقى فيها الناس والحجارة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقد يقال: يُلقى فيها الناس فقط، وأن الحجارة لم تزل موجودة فيها، والعلم عند الله.

* «**يُلْقَى فيها**»: في هٰذا دليل على أن أهلها ـ والعياذ بالله ـ يُلْقَون فيها إلقاء لا يدخلون مكرَّمين، بل يدَعُّون إلى نار جهنم دعّاً؛ ﴿كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨].

* قوله: «**وهي تقول: هل من مزيد؟**»: (هل): للطلب؛

= في شرحه لهذا الحديث في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٦٠): وقد روي هذا الحديث من طرق كثيرة، وأصح الطرق كلها طريق حنش الصنعاني التي خرجها الترمذي.

(١) رواه: البخاري (٧٣٨٤)، ومسلم (٢٨٤٨)؛ عن أنس رضي الله عنه.

يعني: زيدوا. وأبعد النجعة من قال: إن الاستفهام هنا للنفي، والمعنى على زعمه: لا مزيد على ما فيَّ، والدليل على بطلان هٰذا التأويل:

* قوله: «**حتى يضع رب العزة فيها رجله (وفي رواية: عليها قدمه)**»: لأن هٰذا يدل على أنها تطلب زيادة، وإلا؛ لما وضع الله عليها رجله حتى ينزوي بعضها إلى بعض؛ فكأنها تطلب بشوق إلى من يلقى فيها زيادة على ما فيها.

* قوله: «**حتى يضع رب العزة**»: عَبَّر برب العزة؛ لأن المقام مقام عزَّة وغلبة وقهر.

وهنا (رب)؛ بمعنى: صاحب، وليست بمعنى خالق؛ لأن العزة صفة من صفات الله، وصفات الله تعالى غير مخلوقة.

* وقوله: «**فيها رجله**»، وفي رواية: «عليها قدمه»: (في) و (على): معناهما واحد هنا، والظاهر أن (في) بمعنى (على)؛ كقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]؛ أي: عليها.

أما الرجل والقدم؛ فمعناهما واحد، وسميت رجل الإنسان قدماً؛ لأنها تتقدم في المشي؛ فإن الإنسان لا يستطيع أن يمشي برجله إلا إذا قدمها.

* قوله: «**فينزوي بعضها إلى بعض**»؛ يعني: ينضم بعضها إلى بعض من عظمة قدم الباري عز وجل.

* قوله: «**فتقول: قط قط**»؛ بمعنى: حسبي حسبي؛ يعني:

لا أريد أحداً.

*** في هٰذا الحديث من الصفات:**

أولاً: إثبات القول من الجماد؛ لقوله: «وهي تقول»، وكذٰلك: «فتقول: قط قط»، وهو دليل على قدرة الله الذي أنطق كل شيء.

ثانياً: التحذير من النار؛ لقوله: «لا تزال جهنم يُلْقَى فيها، وهي تقول: هل من مزيد؟».

ثالثاً: إثبات فضل الله عز وجل؛ فإن الله تعالى تكفَّل للنار بأن يملأها كما قال: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]؛ فإذا دخلها أهلها، وبقي فيها فضل، وقالت: هل من مزيد؟ وضع الله عليها رجله، فانزوى بعضها إلى بعض، وامتلأت بهٰذا الانزواء.

وهٰذا من فضل الله عز وجل؛ وإلا؛ فإن الله قادر على أن يخلق أقواماً ويكمل ملأها بهم، ولٰكنه عز وجل لا يعذب أحداً بغير ذنب؛ بخلاف الجنة، فيبقى فيها فضل عمن دخلها من أهل الدنيا، فيخلق الله أقواماً يوم القيامة ويدخلهم الجنة بفضله ورحمته.

رابعاً: أن لله تعالى رجلاً وقدماً حقيقية، لا تماثل أرجل المخلوقين، ويسمي أهل السنة مثل هٰذه الصفة: الصفة الذاتية الخبرية؛ لأنها لم تعلم إلا بالخبر، ولأن مسماها أبعاض لنا

وأجزاء، لٰكن لا نقول بالنسبة لله: إنها أبعاض وأجزاء؛ لأن هٰذا ممتنع على الله عز وجل.

وخالف الأشاعرة وأهل التحريف في ذٰلك، فقالوا: «يضع عليها رجله»؛ يعني: طائفة من عباده مستحقين للدخول، والرجل تأتي بمعنى الطائفة؛ كما في حديث أيوب عليه الصلاة والسلام[1]؛ أرسل الله إليه رجل جراد من ذهب؛ يعني: طائفة من جراد.

وهٰذا تحريف باطل؛ لأن قوله: «عليها»: يمنع ذٰلك.

وأيضاً؛ لا يمكن أن يضيف الله عز وجل أهل النار إلى نفسه؛ لأن إضافة الشيء إلى الله تكريم وتشريف.

وقالوا في القدم: قدم؛ بمعنى: مقدم؛ أي: يضع الله تعالى عليها مقدمه؛ أي: من يقدمهم إلى النار.

وهٰذا باطل أيضاً؛ فإن أهل النار لا يقدمهم الباري عز وجل، ولٰكنهم ﴿يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣]، ويلقون فيها إلقاء؛ فهٰؤلاء المحرفون فروا من شيء ووقعوا في شرٍّ منه؛ فروا من تنزيه الله عن القدم والرجل، لٰكنهم وقعوا في السفه ومجانبة الحكمة في أفعال الله عز وجل.

والحاصل أنه يجب علينا أن نؤمن بأن لله تعالى قدماً، وإن شئنا؛ قلنا: رجلاً؛ على سبيل الحقيقة؛ مع عدم المماثلة، ولا نكيِّف الرجل؛ لأن النبي ﷺ أخبرنا بأن لله تعالى رجلاً أو قدماً،

---

(١) رواه البخاري (٣٣٩١، ٧٤٩٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولم يخبرنا كيف هٰذه الرجل أو القدم، وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

* **والفائدة المسلكية من هٰذا الحديث**: هو الحذر الشديد من عمل أهل النار؛ خشية أن يلقى الإنسان فيها كما يلقى غيره.

* * *

● **الحديث السادس: في إثبات الكلام والصوت:**

وهو قوله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعالى: يا آدَمُ! فَيَقولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنادِي بِصَوْتٍ: إنَّ اللهَ يَأمُرُكَ أنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثاً إلى النَّارِ...». متفق عليه[1].

الشرح:

* يخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن ربه أنه يقول: يا آدم! وهٰذا يوم القيامة، فيجيب آدم: «لبيك وسعديك».

* «**لبيك**»؛ بمعنى: إجابة بعد إجابة، وهو مثنى لفظاً، ومعناه: الجمع، ولهٰذا يعرب على أنه ملحق بالمثنى.

* و«**سعديك**»؛ يعني: إسعاداً بعد إسعاد؛ فأنا ألبي قولك وأسألك أن تسعدني وتعينني.

* قال: «**فينادي**»؛ أي: الله؛ فالفاعل هو الله عز وجل.

---

(١) رواه: البخاري (٧٤٨٣)، ومسلم (٢٢٢)؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

* وقوله: «**بصوت**»: هٰذا من باب التأكيد؛ لأن النداء لا يكون إلا بصوت مرتفع؛ فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ فالطائر الذي يطير؛ إنما يطير بجناحيه، وهٰذا من باب التأكيد.

* وقوله: «**إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار**»: ولم يقل: إني آمرك! وهٰذا من باب الكبرياء والعظمة؛ حيث كنى عن نفسه تعالى بكنية الغائب، فقال: «إن الله يأمرك»؛ كما يقول الملك لجنوده: إنَّ الملك يأمركم بكذا وكذا؛ تفاخراً وتعاظماً، والله سبحانه هو المتكبر وهو العظيم.

وجاء في القرآن مثل هٰذا: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، ولم يقل: إني آمركم.

* وقوله: «**أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار**»؛ أي: مبعوثاً.

* والحديث الآخر؛ قال: «يا رب! وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعون»(١).

* * *

● الحديث السابع في إثبات الكلام أيضاً:

وهو قوله ﷺ: «ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، ولَيْسَ

---

(١) رواه: البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢)؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمانٌ»[1].

الشرح:

* «**ما**»: نافية.

* «**من أحد**»: مبتدأ؛ دخلت عليه (من) الزائدة للتوكيد؛ يعني: ما منكم من أحد.

* «**إلا سيكلمه ربه**»؛ يعني: هٰذه حاله؛ سيكلمه الله عز وجل؛ «**ليس بينه وبينه ترجمان**»، وذٰلك يوم القيامة.

* والترجمان: هو الذي يكون واسطة بين متكلمين مختلفين في اللغة، ينقل إلى أحدهما كلام الآخر باللغة التي يفهمها.

ويشترط في المترجم أربعة شروط: الأمانة، وأن يكون عالماً باللغة التي يترجم منها، وباللغة التي يترجم إليها، وبالموضوع الذي يترجمه.

* **وفي هٰذا الحديث من صفات الله**: الكلام، وأنه بصوت مسموع مفهوم.

* **الفوائد المسلكية في الحديث الأول**: «يقول الله: يا آدم!»: فيه بيان أن الإنسان إذا علم بذٰلك؛ فإنه يحذر ويخاف أن يكون من التسع مئة والتسعة والتسعين.

وفي الحديث الثاني: يخاف الإنسان من ذٰلك الكلام الذي

---

(١) رواه: البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

يجري بينه وبين ربه عز وجل أن يفتضح بين يدي الله إذا كلمه تعالى بذنوبه، فيقلع عن الذنوب، ويخاف من الله عز وجل.

* * *

● **الحديث الثامن: في إثبات العلو لله وصفات أخرى:**

وهو قوله ﷺ في رُقْيَةِ المريض: «رَبَّنا اللهُ الذي في السَّماءِ! تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ في السَّماءِ والأَرْضِ؛ كما رَحْمَتُكَ في السَّماءِ؛ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ في الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنا حُوبَنا وخَطايانا، أنتَ رَبُّ الطَّيِّبينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَشِفاءً مِنْ شِفائِكَ على هٰذا الوَجِعِ؛ فَيَبْرَأ». حديث حسن، رواه أبو داود وغيره(١).

الشرح:

* قوله: «**في رُقْيَة المريض**»: من باب إضافة المصدر إلى المفعول؛ يعني: في الرقية إذا قرأ على المريض.

* قوله: «**ربنا الله الذي في السماء**»: تقدم الكلام على قوله: «في السماء» في الآيات.

* وقوله: «**تقدَّس اسمُك**»؛ أي: طهر، والاسم هنا مفرد،

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٩٢)، وأحمد (٦/ ٢٠)، واللالكائي (٦٤٨)، والحاكم (١/ ٣٤٤)، وصححه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٠٥٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٩٢)، وابن قدامة في «العلو» (ص٤٨)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٧٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» كما في «تحفة الأشراف» (٨/ ٢٣٠).

لٰكنه مضاف، فيشمل كل الأسماء؛ أي: تقدست أسماؤك من كل نقص.

* «**أمرك في السماء والأرض**»: أمر الله نافذ في السماء والأرض؛ كما قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]، وقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

* وقوله: «**كما رحمتك في السماء؛ اجعل رحمتك في الأرض**»: الكاف هنا للتعليل، والمراد بها التوسُّل؛ توسل إلى الله تعالى بجعل رحمته في السماء أن يجعلها في الأرض.

فإن قلت: أليس رحمة الله في الأرض أيضاً؟!

قلنا: هو يقرأ على المريض، والمريض يحتاج إلى رحمة خاصة يزول بها مرضه.

* وقوله: «**اغفر لنا حُوبنا وخطايانا**»: الغفر: ستر الذنب والتجاوز عنه. والحوب: كبائر الإثم. والخطايا: صغائره. هٰذا إذا جمع بينهما، أما إذا افترقا؛ فهما بمعنى واحد؛ يعني: اغفر لنا كبائر الأثم وصغائره؛ لأن في المغفرة زوال المكروب وحصول المطلوب، ولأن الذنوب قد تحول بين الإنسان وبين توفيقه؛ فلا يوفَّق ولا يُجاب دعاؤه.

* قوله: «**أنت رب الطَّيِّبين**»: هٰذه ربوبية خاصة، وأما الربوبية العامة؛ فهو رب كل شيء، والربوبية قد تكون خاصة وقد تكون عامة.

واستمع إلى قول السحرة الذين آمنوا: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١ ـ ١٢٣]؛ حيث عموا ثم خصوا.

واستمع إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٩١]؛ فـ﴿رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾: خاص، ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾: عام.

* والطيبون: هم المؤمنون؛ فكل مؤمن؛ فهو طيب، وهٰذا من باب التوسل بهٰذه الربوبية الخاصة، إلى أن يستجيب الله الدعاء ويشفي المريض.

* قوله: «**أنزل رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك على هٰذا الوجع**»: هٰذا الدعاء وما سبقه من باب التوسل.

* «**أنزل رحمة من رحمتك**»: الرحمة نوعان:

ـ رحمة هي صفة الله؛ فهٰذه غير مخلوقة وغير بائنة من الله عز وجل؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨]، ولا يطلب نزولها.

ـ ورحمة مخلوقة، لٰكنها أثر من آثار رحمة الله؛ فأطلق عليها الرحمة؛ مثل قوله تعالى في الحديث القدسي عن الجنة: «أنت رحمتي أرحم بك من أشاء»[1].

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٣٤٤)، وهو في «الصحيحين».

* كذٰلك الشفاء؛ فالله شاف، ومنه الشفاء؛ فوصفه الشفاء، وهو فعل من أفعاله، وهو بهٰذا المعنى صفة من صفاته، وأما باعتبار تعديه إلى المريض؛ فهو مخلوق من مخلوقاته؛ فإن الشفاء زوال المرض.

* قوله: «**فيبرأ**»: بفتح الهمزة منصوباً؛ لأنه جواب الدعاء: أنزل رحمة؛ فيبرأ. أما إذا قرىء بالضم مرفوعاً؛ فإنه مستأنف، ولا يتبع الحديث، بل يوقف عند قوله: «الوجع»، وتكون «فيبرأ»: جملة خبرية تفيد أن الإنسان إذا قرأ بهٰذه الرقية؛ فإن المريض يبرأ، ولٰكن الوجه الأول أحسن وهو بالنصب.

* * *

● **الحديث التاسع: في إثبات العلو أيضاً:**

وهو قوله ﷺ: «أَلا تَأْمَنوني وأَنا أَمينُ مَنْ في السَّماءِ»[1].

الشرح:

* «**ألا تأمنوني**»: فيها إشكال لغوي، وهو حذف نون الفعل بدون ناصب ولا جازم!!

والجواب عن هٰذا: أنه إذا اتصلت نون الوقاية بفعل من الأفعال الخمسة؛ جاز حذف نون الرفع.

---

(١) رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤)؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

* «**ألا تأمنوني**»؛ أي: ألا تعتبروني أميناً.

* «**وأنا أمين من في السماء**»: والذي في السماء هو الله عز وجل، وهو أمينه عليه الصلاة والسلام على وحيه، وهو سيد الأمناء عليه الصلاة والسلام، والرسول والذي ينزل عليه جبريل هو أيضاً أمين: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۞ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۞ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢٠].

* وهٰذا الحديث له سبب، وهو أن النبي ﷺ قسم ذهيبة بعث بها علي من اليمن بين أربعة نفر، فقال له رجل: نحن أحق بهٰذا من هٰؤلاء. فقال النبي ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء».

* «**ألا**»: للعرض؛ كأنه يقول: ائمنوني؛ فإني أمين من في السماء!

ويحتمل أن تكون الهمزة لاستفهام الإنكار، و(لا): نافية.

* والشاهد قوله: «**من في السماء**»، ونقول فيها ما قلناه فيما سبق في الآيات.

* * *

● **الحديث العاشر: في إثبات العلو أيضاً:**

وهو قوله ﷺ: «وَالعَرْشُ فَوْقَ الماءِ، وَاللهُ فَوْقَ العَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ». حديث حسن، رواه أبو داود

وغيره[1].

الشرح:

* لما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام المسافات التي بين السماوات؛ قال: «والعرش فوق الماء».

ويشهد لهٰذا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧].

* قال: **«والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه»**: هو فوق العرش، ومع ذٰلك لا يخفى عليه شيء من أحوالنا وأعمالنا، بل قد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [قٓ: ١٦]؛ يعني: الشيء الذي في ضميرك يعلمه الله؛ مع أنه ما بان لأحد.

* وقوله: **«وهو يعلم ما أنتم عليه»**: يفيد إحاطة علم الله بكل ما نحن عليه.

* **الفائدة المسلكية من هٰذا الحديث:**

وإذا آمنا بهٰذا الحديث؛ فإننا نستفيد منه فائدة مسلكية، وهي

---

(١) رواه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» (١/ ٢٤٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥١)، وأبو الشيخ في كتاب «العظمة» (٢٧٩)، واللالكائي في «شرح السنة» (٦٥٩)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٨١)، وقال الذهبي: في «مختصر العلو» (١٠٣) إسناده صحيح، وعزاه الهيثمي في «المجمع» (١/ ٨٦) للطبراني في «الكبير» وقال: رجاله رجال الصحيح.

تعظيم الله عز وجل، وأنه في العلو، وأنه يعلم ما نحن عليه، فنقوم بطاعته؛ بحيث لا يفقدنا حيث أمرنا، ولا يجدنا حيث نهانا.

* * *

● **الحديث الحادي عشر: في إثبات العلو أيضاً:**

وهو قوله ﷺ للجارية: «أَيْنَ اللهُ؟». قالت: في السماء. قال: «مَنْ أنا؟». قالت: أنت رسول الله. قال: «أَعْتِقْها؛ فإنَّها مُؤْمِنَة». رواه مسلم[1].

الشرح:

* **قوله:** «**أين الله؟**»: (أين): يستفهم بها عن المكان.

* «**قالت: في السماء**»؛ يعني: على السماء، أو: في العلو؛ على حسب الاحتمالين السابقين[2].

* «**قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة**».

وعند أهل التعطيل هي بقولها: «في السماء»: إذا أرادت أنه في العلو؛ هي كافرة!! لأنهم يرون أن من أثبت أن الله في جهة؛ فهو كافر؛ إذ يقولون: إن الجهات خالية منه.

واستفهام النبي ﷺ بـ (أين) يدل على أن لله مكاناً.

ولكن يجب أن نعلم أن الله تعالى لا تحيط به الأمكنة؛ لأنه

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٨٥).
(٢) (١/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨).

أكبر من كل شيء، وأن ما فوق الكون عدم، ما ثَمَّ إلا الله؛ فهو فوق كل شيء.

* وفي قوله: «**أعتقها؛ فإنها مؤمنة**»: دليل على أن عتق الكافر ليس بمشروع، ولهٰذا لا يجزىء عتقه في الكفارات؛ لأن بقاء الكافر عندك رقيقاً؛ فيه نوع حماية له وسلطة وإمرة وتقريب من الإسلام؛ فإذا أعتقته؛ تحرر، وإذا تحرر؛ فيخشى منه أن يرجع إلى بلاد الكفر؛ لأن أصل الرق هو الكفر، ويبقى معيناً للكافرين على المؤمنين.

* * *

● **الحديث الثاني عشر: في إثبات المعية:**

وهو قوله ﷺ: «أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت». حديث حسن، أخرجه الطبراني من حديث عبادة بن الصامت[1].

الشرح:

* أفاد الحديث معيَّة الله عز وجل، وقد سبق في الآيات أن معية الله لا تستلزم أن يكون في الأرض، بل يمتنع غاية الامتناع أن يكون في الأرض؛ لأن العلو من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها أبداً، بل هي لازمة له سبحانه وتعالى.

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٤٠٧).

وسبق[1] أيضاً أنها قسمان.

* وقول الرسول ﷺ: «**أفضل الإيمان أن تعلم**»: يدل على أن الإيمان يتفاضل؛ لأنك إذا علمت أن الله معك حيثما كنت؛ خفت منه عز وجل وعظَّمته.

لو كنت في حجرة مظلمة ليس فيها أحد؛ فاعلم أن الله معك، لا في الحجرة؛ لٰكنه سبحانه وتعالى معك؛ لإحاطته بك علماً وقدرة وسلطاناً وغير ذٰلك من معاني ربوبيته.

● **الحديث الثالث عشر: في إثبات كون الله قبل وجه المصلي:**

وهو قوله ﷺ: «إذا قامَ أَحَدُكُمْ إلىٰ الصَّلاة؛ فَلا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلا عَنْ يَمينِهِ؛ فإنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، ولٰكِنْ عَنْ يَسارِهِ، أو تَحْتَ قَدَمِهِ». متفق عليه[2].

الشرح:

* «**قبل وجهه**»؛ يعني: أمامه.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١١٥].

* «**يمينه**»: ورد فيه حديث: «فإن عن يمينه ملكاً[3]»، ولأن

---

(١) (١/ ٣٨٦ - ٣٨٨).
(٢) البخاري (٤٠٥)، ومسلم (٥٤٧)؛ عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٣) البخاري (٤١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

اليمين أفضل من الشمال، فيكون اليسار أولى بالبصاق ونحوه، ولهٰذا قال: «ولٰكن عن يساره أو تحت قدمه».

فإن كان في المسجد؛ قال العلماء: فإنه يجعل البصاق في خرقة أو منديل أو ثوبه، ويحك بعضه ببعض، حتى تزول صورة البصاق، وإذا كان الإنسان في المسجد عند الجدار، والجدار قصير عن يساره؛ فإنه يمكن أن يبصق عن يساره إذا لم يؤذ أحداً من المارة.

* **يستفاد من هٰذا الحديث**: أن الله تبارك وتعالى أمام وجه المصلي، ولٰكن يجب أن نعلم أن الذي قال: إنه أمام وجه المصلي؛ هو الذي قال: إنه في السماء، ولا تناقض في كلامه هٰذا وهٰذا؛ إذ يمكن الجمع من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن الشرع جمع بينهما، ولا يجمع بين متناقضين.

الوجه الثاني: أنه يمكن أن يكون الشيء عالياً، وهو قِبَل وجهك؛ فها هو الرجل يستقبل الشمس أول النهار، فتكون أمامه، وهي في السماء، ويستقبلها في آخر النهار، تكون أمامه، وهي في السماء؛ فإذا كان هٰذا ممكناً في المخلوق؛ ففي الخالق من باب أولى بلا شك.

الوجه الثالث: هب أن هٰذا ممتنع في المخلوق؛ فإنه لا يمتنع في الخالق؛ لأن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع صفاته.

يستفاد من هذا الحديث من الناحية المسلكية وجوب الأدب مع الله عز وجل ويستفاد أنه متى آمن المصلي بذلك فإنه يحدث له خشوعاً وهيبة من الله عز وجل.

● **الحديث الرابع عشر: في إثبات العلو وصفات أخرى:**

وهو قوله ﷺ: «اللهُمَّ! رَبَّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَالأرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظيمِ! رَبَّنا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ! فالِقَ الحَبِّ والنَّوَى! مُنْزِلَ التَّوْراةِ وَالإنْجيلِ وَالقُرْآنِ! أعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسي، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دابَّةٍ أنْتَ آخِذٌ بِناصِيَتِها. أنْتَ الأوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وأنْتَ الآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وأنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وأنْتَ الباطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وأغْنِني مِنَ الفَقْرِ». رواه مسلم(١).

الشرح:

* هٰذا حديث عظيم، توسل النبي ﷺ إلى الله تعالى بربوبيته في قوله: «اللهم! رب السماوات السبع والأرض! ورب العرش العظيم! ربنا ورب كل شيء!»، وهٰذا من باب التعميم بعد التخصيص في قوله: «ورب كل شيء»، وهٰذا التعميم بعد التخصيص؛ لئلا يتوهم واهم اختصاص الحكم بما خصص به.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٩١]؛ حيث قال: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ

(١) مسلم (٢٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿شَيْءٍ﴾؛ حتى لا يظن ظان أنه ليس ربّاً إلا لهٰذه البلدة.

* «**فالق الحب والنوى**»: حب الزروع. و«النوى»: نوى الغرس؛ فالأشجار التي تخرج: إما زروع أصلها الحب، وإما أشجار أصلها النوى؛ فما للأشجار يسمى نوى، وما للزروع يسمى حبّاً؛ ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٦].

هٰذا الحب والنوى اليابس الذي لا ينمو ولا يزيد؛ يفلقه الرب عز وجل؛ أي: يفتحه حتى تخرج منه الأشجار والزروع، ولا يستطيع أحد أن يفعل ذٰلك؛ مهما بلغ الناس في القدرة؛ ما استطاعوا أن يفلقوا حبة واحدة أبداً! والنوى كذٰلك الذي كالحجر؛ لا ينمو، ولا يزيد؛ يفلقه الله عز وجل، وينفرج، ثم تكون منه الغريسة التي تنمو، ولا أحد يستطيع ذٰلك؛ إلا الذي فلقها سبحانه وتعالى.

ولما ذكر الآية الكونية العظيمة؛ ذكر الآيات الشرعية، وهي:

* قوله: «**منزل التوراة والإنجيل والقرآن**»: وهٰذه أعظم كتب أنزلها الله عز وجل، وبدأها على الترتيب الزمني: التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والفرقان على محمد ﷺ.

وفي هٰذا نص صريح على أن التوراة منزلة كما جاء في القرآن: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال في أول سورة آل عمران: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣ ـ ٤].

* قوله: «**أعوذ بك من شر نفسي**»: أعتصم بالله من شر نفسي.

إذاً؛ في نفسك شر؛ ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

لكن النفس نفسان:

ـ نفس مطمئنة طيبة تأمر بالخير.

ـ ونفس شريرة أمارة بالسوء.

والنفس اللوامة؛ هل هي ثالثة، أو وصف للثنتين السابقتين؟!

فيه خلاف: بعضهم يقول: إنها نفس ثالثة. وبعضهم يقول: هي وصف للثنتين السابقتين؛ فالمطمئنة تلومك، والأمارة بالسوء تلومك؛ فيكون قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]؛ يشمل النفسين جميعاً.

فالمطمئنة تلومك على التقصير في الواجب؛ إذا أهملت واجباً؛ لامتك، وإذا فعلت محرماً؛ لامتك.

والأمارة بالسوء بالعكس؛ إذا فعلت الخير؛ لامتك، وتلومك إذا فوَّتَّ ما تأمرك به من السوء.

إذاً؛ صارت اللوَّامة على القول الراجح وصفاً للنفسين معاً.

وقوله هنا: «أعوذ بك من شر نفسي»: المراد بها النفس الأمارة بالسوء.

* قوله: «**ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها**»: الدابة: كل ما يدب على الأرض، حتى الذي يمشي على بطنه داخل في هٰذا الحديث؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ [النور: ٤٥]، وقوله: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٧].

وإن كانت الدابة تطلق في العرف على ذوات الأربع، وفي عرف أخص تطلق على الحمار فقط، لٰكنها في مثل هٰذا الحديث يراد بها كل ما يدب على الأرض، وما يدب على الأرض فيه شرور، أما بعضه؛ فشر محض بالنسبة لذاته، وأما بعضه؛ ففيه خير وفيه شر، وحتى الذي فيه خير؛ لا يسلم من الشر.

* قوله: «**أنت آخذ بناصيتها**»: الناصية: مقدم الرأس، وإنما نص على الناصية؛ لأنه هو المقدم، وهو الذي يمسك به لقيادة البعير وشبهه. وقيل: خُصَّ ذٰلك؛ لأن المخ الذي فيه التصور والتلقي يكون في مقدمة الرأس، والعلم عند الله.

* قوله: «**أنت الأول؛ فليس قبلك شيء**»: هٰذا تفسير من النبي ﷺ لقوله: «الأول»، والأول من أسماء الله.

وقد ذكرنا عند تفسير الآية أن أهل الفلسفة يسمُّون الله: القديم، وذكرنا أن القديم ليس من أسماء الله الحسنى، وأنه لا يجوز أن يسمَّى به، لٰكن يجوز أن يخبر به عنه، وباب الخبر أوسع من باب التسمية؛ لأن القديم ليس من الأسماء الحسنى، والقديم فيه نقص؛ لأن القدم قد يكون قدماً نسبيّاً؛ ألم تر إلى قوله تعالى:

﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩]، والعرجون القديم حادث، لكنه قديم بالنسبة لما بعده.

* قوله: «**وأنت الظاهر؛ فليس فوقك شيء**»: الظاهر من الظهور، وهو العلو؛ كما قال تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ [الكهف: ٩٧]؛ ﴿ يَظْهَرُوهُ ﴾؛ أي: يعلوا عليه.

وأما من قال: الظاهر بآياته؛ فهٰذا خطأ؛ لأنه لا أحد أعلم بتفسير كلام الله من رسول الله ﷺ، وقد قال: «الظاهر؛ فليس فوقك شيء»؛ بل هو فوق كل شيء سبحانه.

* قوله: «**وأنت الباطن؛ فليس دونك شيء**»: المعنى: ليس دون الله شيء، لا أحد يدبر دون الله، ولا أحد ينفرد بشيء دون الله، ولا أحد يخفى على الله؛ كل شيء؛ فالله محيط به، ولهٰذا قال: «ليس دونك شيء»؛ يعني: لا يحول دونك شيء، ولا يمنع دونك شيء، ولا ينفع ذا الجد منك الجد... وهٰكذا.

* قوله: «**اقض عني الدَّين**»: الدَّين: ما يستحق على الإنسان من مال أو حق؛ اشتريت منك حاجة، ولم أنقدك الثمن؛ فهٰذا يسمى ديناً، وإن كان غير مؤجل.

* قوله: «**وأغنني من الفقر**»: الفقر: خلو ذات اليد، ولا شك أن الفقر فيه إيلام للنفس، والدَّين فيه ذل؛ المدين ذليل للدائن، والفقير معوز ربما يجره الفقر إلى أمر محرم.

ألم يأتكم نبأ الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار، فتوسل كل

واحد منهم بصالح عمله، وكان لأحدهم ابنة عم أعجبته، وكان يراودها عن نفسها، ولٰكنها كانت تأبى ذٰلك، فألمت بها سنة من السنين، واحتاجت، وجاءت إليه تطلب منه أن يعينها، فأبى عليها؛ إلا أن تمكّنه من نفسها، ومن أجل ضرورتها؛ وافقت على هٰذا، فلما جلس منها مجلس الرجل من امرأته؛ قالت له: يا هٰذا! اتق الله! ولا تفض الخاتم إلا بحقه! وأثرت هٰذه الكلمة في الرجل عندما كانت نابعة من القلب، فقام عنها. قال: فقمت عنها وهي أحب الناس إليَّ. لٰكن ذكرته هٰذه الموعظة الكريمة؛ فأقلع[(١)].

فانظر إلى الفقر؛ فإن هٰذه المرأة أرادت أن تبيع عرضها بسبب الفقر.

إذاً؛ قول الرسول ﷺ: «أغنني من الفقر»: سأل النبي ﷺ ربه أن يغنيه من الفقر؛ لأن الفقر له آفات عظيمة.

*** وفي هٰذا الحديث أسماء وصفات:**

ـ فمن الأسماء: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن.

ـ ومن الصفات: الأولية والآخرية، وفيهما الإحاطة الزمانية. والظاهرية والباطنية، وفيهما الإحاطة المكانية. ومنها: العلو، وعموم ربوبيته، وتمام قدرته. ومنها: كمال رحمته وحكمته بإنزال الكتب؛ لتحكم بين الناس وتهديهم صراط الله.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣)؛ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

* **ومن غير الأسماء والصفات:** التوسل إلى الله بصفات الله، والتحذير من شر النفوس، وسؤال النبي ﷺ أن يقضي الله دينه ويغنيه من الفقر، وبيان ضعف الحديث الذي فيه سؤال النبي ﷺ أن يحييه ربه مسكيناً[1].

* **وفيه من الفوائد المسلكية:** التحذير من شر النفس، وتعظيم شأن الدين، وأن يحرص على تلافي الدَّين بقدر الإمكان، ويقتصد في ماله طلباً وتصرفاً؛ لأنه إذا اقتصد في ذٰلك؛ سلم غالباً من الفقر والدين.

* * *

● **الحديث الخامس عشر: في إثبات قرب الله تعالى:**

وهو قوله ﷺ لمَّا رفع الصحابة أصواتهم بالذكر: «أيُّها النَّاسُ! ٱرْبَعُوا عَلى أنْفُسِكُمْ؛ فَإنَّكُمْ لا تَدْعُون أصَمَّ وَلا غائِباً؛ إنَّما تَدْعونَ سَميعاً بَصيراً؛ إنَّ الذي تَدْعونَهُ أقْرَبُ إلى أحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ

(١) لما رواه الترمذي (٢٣٥٢) عن أنس، وابن ماجه (٤١٢٦) عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٠٨) و«الإرواء» (٨٥٣).
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وسواء صح لفظه أم لم يصح، فالمسكين المحمود هو المتواضع. «مجموع الفتاوى» (١٨/٣٢٦)، وقال الحافظ في «التلخيص الحبير» (٢٧٥): أسرف ابن الجوزي فذكر هذا الحديث في «الموضوعات»!

راحِلَتِهِ». متفق عليه[1].

الشرح:

* كان الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ؛ إذا علوا نشزاً؛ كبروا، وإذا نزلوا وادياً؛ سبحوا[2]؛ لأن الإنسان إذا ارتفع؛ قد يتعاظم في نفسه، ويرى أنه مرتفع عظيم؛ فناسب أن يقول: الله أكبر! تذكيراً لنفسه بكبرياء الله عز وجل، وأما إذا نزل؛ فهٰذا سفول ونزول، فيقول: سبحان الله! تذكيراً لنفسه بتنزه الله عن السفل. فكان الصحابة رضي الله عنهم يرفعون أصواتهم بالذكر جدّاً، فقال النبي عليه الصلاة والسلام:

* «**أيها الناس! اربعوا على أنفسكم**»؛ يعني: هوّنوا عليها.

* «**فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً**»؛ لا تدعون أصم لا يسمع، ولا غائباً لا يرى.

* «**إنما تدعون سميعاً**»؛ يسمع ذكركم، «**بصيراً**»؛ يرى أفعالكم.

* «**إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**»: عنق الراحلة للراكب قريب جدّاً؛ فالله تعالى أقرب من هٰذا إلى الإنسان، ومع هٰذا؛ فهو فوق سماواته على عرشه.

---

(١) رواه: البخاري (٦٦١٠)، ومسلم (٢٧٠٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤٠٢)؛ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه (١/ ٣٥٩).

ولا منافاة بين القرب والعلو؛ لأن الشيء قد يكون بعيداً قريباً؛ هٰذا بالنسبة للمخلوق؛ فكيف بالخالق؟! فالرب عز وجل قريب مع علوه، أقرب إلى أحدنا من عنق راحلته.

*** هٰذا الحديث فيه فوائد:**

ـ فيه شيء من الصفات السلبية: نفي كونه أصم أو غائباً؛ لكمال سمعه ولكمال بصره وعلمه وقربه.

ـ وفيه أيضاً أنه ينبغي للإنسان ألا يشقَّ على نفسه في العبادة؛ لأن الإنسان إذا شق على نفسه؛ تعبت النفس وملت، وربما يتأثر البدن، ولهٰذا قال النبي ﷺ: «اكلفوا من العمل ما تطيقون؛ فإن الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا»(١).

فلا ينبغي للإنسان أن يشق على نفسه، بل ينبغي أن يسوس نفسه: إذا وجد منها نشاطاً في العبادة؛ عمل واستغلَّ النشاط، وإذا رأى فتوراً في غير الواجبات، أو أنها تميل إلى شيء آخر من العبادات؛ وجهها إليه.

حتى إن الرسول ﷺ أمر من نعس في صلاته أن ينام ويدع الصلاة؛ قال: «فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه»(٢).

ولهٰذا كان النبي ﷺ يصوم حتى يقول القائل: لا يفطر،

---

(١) رواه: البخاري (١١٥١، ١٩٧٠)، ومسلم (٧٨٢)؛ عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه: البخاري (٢١٢)، ومسلم (٧٨٦)؛ عن عائشة رضي الله عنها.

ويفطر حتى يقول القائل: لا يصوم[1]، وكذٰلك في القيام والنوم.

ـ وفيه أيضاً: أن الله قريب، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

* ونستفيد من هٰذا الحديث من الناحية المسلكية:

ـ أنه لا ينبغي لنا أن نشق على أنفسنا بالعبادات، وأن يكون سيرنا إلى الله وسطاً؛ لا تفريط ولا إفراط.

ـ وفيه أيضاً: الحذر من الله؛ لأنه سميع وقريب وبصير، فنبتعد عن مخالفته.

ـ وفيه أيضاً من الناحية الحكمية: جواز تشبيه الغائب بالحاضر للإيضاح؛ حيث قال: «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته».

ـ وفيه أيضاً أنه ينبغي أن يراعي الإنسان في المعاني ما كان أقرب إلى الفهم؛ لأن هٰؤلاء مسافرون، وكل منهم على راحلته، وإذا ضرب المثل بما هو قريب؛ فلا أحسن من هٰذا المثل الذي ذكره النبي عليه الصلاة والسلام.

* * *

(١) كما جاء ذلك في «صحيح البخاري» (١٩٧٢، ١٩٧٣)، ومسلم (١١٥٧)؛ من حديث ابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهم. أن رسول الله ﷺ كان يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم».

● **الحديث السادس عشر: إثبات رؤية المؤمنين لربهم:**

وهو ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَما تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، لا تُضامُّونَ في رُؤْيَتِهِ؛ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا على صَلاةٍ قَبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُروبِها؛ فَافْعَلوا». متفق عليه[1].

الشرح:

* قوله: «**إنكم سترون ربكم**»: السين للتحقيق، وتخلص الفعل المضارع إلى الاستقبال بعد أن كان صالحاً للحال والاستقبال؛ كما أن (لم) تخلصه للماضي، والخطاب للمؤمنين.

* قوله: «**كما ترون القمر**»: هٰذه رؤية بصرية؛ لأن رؤيتنا للقمر بصرية، وهنا شبه الرؤية بالرؤية؛ فتكون رؤية بصرية.

* وقوله: «**كما ترون**»: (ما) هٰذه مصدرية، فيحوَّل الفعل بعدها إلى مصدر، ويكون التقدير: كرؤيتكم القمر؛ فالتشبيه حينئذ للرؤية بالرؤية، وليس للمرئي بالمرئي، لأن الله تعالى ليس كمثله شيء.

والنبي عليه الصلاة والسلام يقرب المعاني أحياناً بذكر الأمثلة الحسية الواقعية؛ كما سأله أبو رزين العقيلي لقيط بن عامر؛ قال: يا رسول الله! أكلنا يرى ربه يوم القيامة، وما آية ذٰلك في خلقه؟ فقال النبي ﷺ: «كلكم ينظر إلى القمر مخلياً به». قال: بلى. قال

(١) رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)؛ عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

النبي ﷺ: «فالله أعظم»[1].

وقوله: «مُخلياً به»؛ يعني: خالياً به.

وكما ثبت به الحديث في «صحيح مسلم»[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إن الله يقول: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين؛ فإذا قال: الحمد لله رب العالمين. قال: حمدني عبدي».

وهٰذا يشمل كل مصلٍّ، ومن المعلوم أنه قد يتفق المصلون في هٰذه الآية جميعاً، فيقول الله لكل واحد: «حمدني عبدي»؛ في آن واحد.

* قال: «**كما ترون القمر ليلة البدر**»: أي: ليلة إبداره، وهي الليلة الرابعة عشرة والخامسة عشرة والثالثة عشرة أحياناً، والوسط الرابعة عشرة؛ كما قال ابن القيم: كالبدر ليل الست بعد ثمان.

* قوله: «**لا تضامُّون في رؤيته**»، وفي لفظ: «لا تضامُون»، وفي لفظ: «لا تضارون»:

ـ «لا تُضامون»: بضم التاء وتخفيف الميم؛ أي: لا

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ١١)، وأبو داود (٤٧٣١)، والحاكم (٤/ ٥٦٠)، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه ابن خزيمة في «التوحيد» (٤٣٨)، والآجري في «الشريعة» (٢٦٢)، وابن أبي عاصم في كتاب «السنة» (١/ ٢٠٠)، وقال الألباني في «ظلال الجنة»: حديث حسن، رجاله رجال مسلم غير وكيع بن عدس ويقال: حدس.

(٢) رواه مسلم (٣٩٥).

يلحقكم ضيم، والضيم الظلم، والمعنى: لا يحجب بعضكم بعضاً عن الرؤية فيظلمه بمنعه إياه. لأن كل واحد يراه.

ـ «لا تضامُّون»: بتشديد الميم وفتح التاء وضمها: يعني: لا ينضم بعضكم إلى بعض في رؤيته؛ لأن الشيء إذا كان خفيّاً؛ ينضم الواحد إلى صاحبه ليريه إياه.

ـ أما «لا تضارُون» أو «لا تضارُّون»؛ فالمعنى: لا يلحقكم ضرر؛ لأن كل إنسان يراه سبحانه وتعالى وهو في غاية ما يكون من الطمأنينة والراحة.

* قوله: «**فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها؛ فافعلوا**»: الصلاة قبل طلوع الشمس هي الفجر، وقبل غروبها هي العصر.

والعصر أفضل من الفجر؛ لأنها الصلاة الوسطى التي خصها الله بالأمر بالمحافظة عليها بعد التعميم، والفجر أفضل من العصر من وجه؛ لأنها الصلاة المشهودة؛ كما قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وجاء في الحديث الصحيح: «من صلى البردين؛ دخل الجنة»[1]، وهما: الفجر والعصر.

* **في هٰذا الحديث من صفات الله**: إثبات أن الله يرى، وقد سبق[2] شرح هٰذه الصفة عند ذكر الآيات الدالة عليها، وهي أربع

---

(١) رواه: البخاري (٥٧٤)، ومسلم (٦٣٥)؛ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
(٢) (١/٤٤٨ ـ ٤٥٥).

آيات، والأحاديث في هٰذا متواترة عن النبي ﷺ؛ فثبوتها قطعي، ودلالتها قطعية.

ولهٰذا ذهب بعض العلماء إلى أن من أنكر رؤية الله تعالى؛ فهو كافر مرتد[1]، وأن الواجب على كل مؤمن أن يقر بذٰلك. قال: وإنما كفرناه؛ لأن الأدلة قطعية الثبوت وقطعية الدلالة، ولا يمكن لأحد أن يقول: إن قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «إنكم سترون ربكم»؛ إنه ليس قطعي الدلالة؛ إذ ليس هناك شيء أشد قطعاً من مثل هٰذا التركيب.

لو كان الحديث: «إنكم ترون ربكم»: لربما تحتمل التأويل، وأنه عبر عن العلم اليقيني بالرؤية البصرية، ولٰكنه صرح بأنا نراه كما نرى القمر، وهو حسي.

وسبق لنا أن أهل التعطيل يؤولون هٰذه الأحاديث ويفسرون الرؤية برؤية العلم، وسبق بطلان قولهم[2].

* قوله: «**إلى أمثال هٰذه الأحاديث...**» إلخ؛ يعني: انظر إلى أمثال هٰذه الأحاديث التي يخبر بها النبي ﷺ عن ربه؛ فما كان مثلها ثبوتاً ودلالة؛ فحكمه حكمها.

* قوله: «**الفرقة الناجية**»: «الفرقة»؛ أي: الطائفة.

* «**الناجية**»: التي نجت في الدنيا من البدع، وفي الآخرة من

---

(١) انظر «حادي الأرواح» لابن القيم (ص٢٤٢)، فقد نقل كلام الإمام أحمد وغيره؛ في أن من أنكر رؤية الله تعالى فهو كافر.

(٢) (١/٤٥٦ ـ ٤٥٨).

النار.

* «**أهل السنة والجماعة**»؛ أي: الذين أخذوا بالسنة واجتمعوا عليها.

* «**يؤمنون بذلك**»؛ أي: بما أخبر به الرسول ﷺ.

* «**كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه**»: لأن ما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام يجب علينا أن نؤمن به كما يجب علينا أن نؤمن بما أخبر الله به في كتابه؛ إلا أنه يختلف عن القرآن في الثبوت؛ فإن لنا نظرين بالنسبة لما جاءت به السنة:

النظر الأول: في ثبوته.

والنظر الثاني: في دلالته.

أما ما في القرآن؛ فلنا نظر واحد، وهو النظر في الدلالة.

وقد سبق[١] لنا بيان الأدلة الدالة على وجوب قبول ما أخبر به النبي ﷺ.

* قال: «**من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل**»: سبق شرح هذا[٢].

* * *

(١) (٢/١١).

(٢) (٢/٨٦).